



فلسطين عبر العصور

قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجدا فتحيتما أدركت الصلاة فصل^[١]. وقد روى الإمام ابن حجر أن آدم هو أول من أنس كلاء المسجدين، وقيل إن الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت العتيق، وسيدنا إبراهيم وسلمان عليهما السلام جدوا ما كان أسسه غيرهما.

- وقد كانت إمامـة المسجد الأقصى وبـيت المقدس وزمام الأمر على هذه الأرض المقدسة في يـد الصالـحين من ذرية إبراهـيم عليهـ السلام أيـ من أـباء

رسـول الله ﷺ وإخـبارـه عـما يـحدث الـيـوم.

فلسطين قضـية عـقـيدة

قال ﷺ أيضـا: إن الله سيـفتحـ عـلـيـكـ الشـامـ منـ بـعـدـيـ منـ العـرـيشـ إـلـىـ الـفـرـاتـ رـجـالـهـ وـنـسـاؤـهـ مـرـابـطـونـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ. فمنـ اـخـتـارـ مـنـكـ سـاحـلـاـ منـ سـواـحـلـ الشـامـ أوـ بـيـتـ المـقـدـسـ فـهـوـ فيـ رـيـاضـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ^[٢]. وـثـبـتـ فيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ قـالـ: سـأـلـتـ رـسـولـ اللهـ ﷺ عـنـ أـوـلـ مـسـجـدـ وـضـعـ عـلـىـ الـأـرـضـ؟ قـالـ: المسـجـدـ الحـرـامـ.

قبل مـئـةـ عـامـ مـنـ كـانـ يـقـرـأـ حـدـيـثـ النـبـيـ ﷺ: «لـنـ تـقـومـ السـاعـةـ حـتـ يـقـاتـلـ الـمـسـلـمـونـ الـيـهـودـ فـيـنـطـقـ الـحـرـجـ وـالـشـجـرـ يـاـ مـسـلـمـ يـاـ عـبـدـ اللهـ هـذـاـ يـهـودـيـ وـرـاثـيـ تـعـالـيـ فـاقـتـلـهـ إـلـىـ شـجـرـ الـغـرـفـدـ إـلـىـ شـجـرـ الـيـهـودـ»^[٣]. إنـ لمـ يـكـنـ قـوـيـ الإـيمـانـ كـانـ يـسـغـرـ بـحـصـوصـاـ إـذـاـ كـانـ ضـعـيفـ الـإـيمـانـ لـأـنـ الـيـهـودـ كـانـوـ يـعـيـشـونـ وـسـطـ الـمـسـلـمـينـ وـهـيـ حـمـاـيـتـهـمـ، حـيـثـ لـمـ يـكـنـ لـهـمـ آنـذـاكـ دـوـلـةـ وـلـاـ كـيـانـ، وـهـذـاـ حـدـيـثـ مـعـجـزـاتـ النـبـوـةـ الـآنـ فـتـجـمـعـ الـيـهـودـ مـنـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ يـثـبـتـ صـدـقـ

للقرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، وهي رواية: «لقي العدو عند غربوبة الشمس»، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها على شيئاً، فحبست عليه، حتى هتع الله عليه^(١).

الاحتلال الثاني (جالوت وجندوده)

ظلل بيت المقدس في أيدي المسلمين إلى أن غالب عليها عدو آخر للإسلام والمسلمين هو «جالوت وجندوه». ففيض الله للنصف المسلم قاتلا ريانيا هو «جالوت» عليه السلام الذي اختبر النصف المسلم بالسيرة مسافة طويلة والعطش قلم يتبق معه إلا فتة قليلة لم يشربوا من النهر، قيل إنهم مثل عدد أهل بدر «وقام داود عليه السلام الفتى الصغير بقتل جالوت الجبار العظيم وتسلم الملك بعد طالوت، وورثه ابنه سليمان عليه السلام وكان خلافة إسلامية عاصمتها بيت المقدس على رأسها نبي الله داود عليه السلام ومن بعده ابنه سليمان عليه السلام.

الاحتلال الثالث، الاحتلال الروماني ٦٤ ق.م

احتل الروم بيت المقدس عام ٦٤ ق م
وحتى عام ١٦٧ هـ (سبعة قرون) وكان
الاختيار الرياني للنبي عليه للقيام
بهذه المهمة حيث قام خلال ثلاث
سنوات باختيار الأفراد الصالحين
لبناء القاعدة الصلبة في مرحلة
الدعوة الفردية حيث أتم بناء إنسان
المقيدة الفرد المسلم لبناء المجتمع
على مائدة القرآن الكريم. وبعد
بناء القاعدة الصلبة التي ستتحمل
مسؤولية الدعوة إلى الله والعمل
لإقامة الإسلام في الأرض على

سقوط بيت
القدس كان
تدريباً بسقوط
مصر وغيرها

نشر المعاهدة التي وقعاها مع ملك الحشين.

وفي المقابل كانت الجماعة المسلمة بقيادة موسى عليه السلام يضجعون لاغتصاب بيت المقدس ويدركون أنه واجب عليهم تحريره، ولكن أني لهم ذلك وقد تعهد فرعون مصر بحفظ ظهر الحيثيين، لأنه وقع معهم معاهدة سلام يقرّهم فيها على ما تحت أيديهم من الديار وضرب ظهر أبناء مصر لصلاحة العدو.

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

- وفي فترة من الزمان حوالي منتصف القرن ١٤ قبل الميلاد شاعت إرادة الله أن يتدب من هذه الذرية الصالحة التي تكاثرت على أرض الإسراء والمعراج نبياً مسلماً من آبناه يعقوب عليه السلام يدعو شعب مصر إلى الإسلام هو «يوسف» عليه السلام ثم يدعو أيام سيدنا يعقوب وبعضاً آبائه من بلاد الشام إلى مصر ليقيم إلى جوار يوسف عليه السلام، وقبل أن يغادر يعقوب عليه السلام بيت المقدس ترك الأمانة والولاية هي بعض أهداه أسرته من المسلمين ومصر وبيلاد الشام هي ذلك الزمان كانت أرضها واحدة.

الاحتلال الأول (الحيثيون)

لم يظل إمارة المسجد الأقصى أو بيت المقدس دوماً في أيدي المسلمين من ذرية إبراهيم وأسحاق ويعقوب ففي فترة من الزمان غلب عليه قوم جبارون لعلهم «الحيثيون» وكان ذلك في فترة معاصرة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام في مصر، وكان يحكم مصر آنذاك أحد الفراعنة لعله رمسيس الثاني (١٣٠٤-١٢٣٤) ق.م.

وأتجه إلى شبه جزيرة سيناء في طريقه إلى الأرض المباركة لتحريرها من غلب عليها.

ولكن الجيل الجبان الذي تربى على الذل والخنوع والاستسلام لفرعون رفض الدخول لتحرير بيت المقدس فكتب عليهم الته مددة ٤٠ عاما حتى هلك الجيل الجبان، وجاء جيل زباني بقيادة يوشع بن نون تم على يديه تحرير بيت المقدس، وقد كانت الريانية هي صفة هذا الجيل حيث قال لقومه: لا يتعمى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن ينتي بها وما بين بها ولا آخر قد بنى بنيانا ولا يرفع سقفتها، ولا آخر قد اشتري غنما أو حلفات، هذه منتظر ولادها، قال: فغدا، هادى



فلسطين.

الثالث: بقيادة يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق .

الرابع: بقيادة شرحبيل بن حسنة في ١٢هـ.

حاصر أبو عبيدة بن الجراح بيت المقدس في ١٥هـ وفتحت بيت المقدس صلحاً، وجاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليسلم مفاتيح بيت المقدس، وصالح نصارى القدس وإلياء على: «لا يبقى فيها رومي ولا يهودي ولا لص» وبعد جهاد استمر ٧ سنوات نجح الصحابة في تطهير بيت المقدس.

وقد ظلت القدس وفلسطين وبقية الشام جزءاً من أرض الإسلام تعيش في كتف الدولة الإسلامية طيلة عهد بقية الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلى، وطيلة عهدبني أمية (٤١-١٢٢هـ)، وطيلة ٤ قرون من عهدبني العباس حتى القرن الخامس الهجري ٧ شعبان ٤٩٢هـ/١٠٩٨م.

وظلت أوروبا تتعين الفرصة للعودة لاغتصاب بيت المقدس مرة أخرى بعد خروجها من بلاد الشام في ١٦هـ حتى تمكن في أواخر عهدبني العباس في ٧ شعبان ٤٩٢هـ/١٠٩٨م من اغتصاب بيت المقدس وقتلت ٧٠ ألفاً من

٢- دفع العدوان الفارسي الواقع على جزء من الإنسانية حتى يتحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

٣- تحرير بيت المقدس، المسجد الأقصى، فلسطين، سوريا، أرض الشام كلها من الاحتلال الرومي الواقع عليها تمهيداً لتحرير أرض مصر وتونس والجزائر وأرض الله كلها من بني الأنصار الذين احتلوها.

لم ينس رسول الله ﷺ بيت المقدس المسجد الأقصى ومصر وارض الله الواقعة تحت الاحتلال الرومي فقد ﷺ لواء مؤنة لزيد ابن حارثة في ٤هـ، بعد ٢١ عاماً من بدء الدعوة، وحدد القاذرين بعده: جعفر بن أبي طالب وعبدالله ابن رواحة، ثم غزوة تبوك عام ٩هـ وخرج بنفسه ﷺ تجاه بلاد الشام.

وعقد رسول الله ﷺ راية أسامة بن زيد تجاه تحوم البقاء من الشام وواصل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حمل الأمانة فأنفذ بعثة أسامة بن زيد في ١١هـ، وقرر تسبيط ٤ جيوش كل منها

٢ ألف مجاهد:

الأول: بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى حمص.

الثاني: بقيادة عمرو بن العاص إلى

مدى ثلاث سنوات في دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بدأت مرحلة الدعوة العامة فانتقضت الجاهلية وبدأت في الكيد والإذاء للدعوة وصاحبها وأتباعها حتى جاءت حادثة الإسراء والمعراج.

- وعيّن الرسول ﷺ التكليف الرباني بعد صلاته بالأنبياء إماماً، بأن الولاية على بيت المقدس انتقلت من الأمم السابقة إلى أمّة محمد ﷺ ثم جاءت بيعة العقبة الثانية إذاناً بإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وواصل ﷺ إرساء قواعد النظام العقدي والسياسي والاقتصادي والسلوكي والأخلاقي والجهادي التي يقوم عليها بناء دولة الإسلام، يحدث كل هذا والدعوة إلى الله مستمرة وبناء إنسان العقيدة مستمر وعدد كتاب المجاهدين ينطلق في طريقه المرسومة.

- وحينما اكتمل البناء وتم الإعداد وتنزل أمر الله وتوجيهه بالجهاد وتتابعت أوامر وأحكام الجهاد، عقد رسول الله ﷺ ٦٠ غزوة، و٢٧ غزوة وجهها في أربعة محاور:

١- دفع طاغيّت العرب الذين يفتون الناس عن دينهم ويقطّون في وجه دعوة الله سبحانه وتعالى.

المسلمين، زاعمين أن القدس نصرانية، وأن الأقصى في الأصل كان كنيسة بناها الإمبراطور «جستينيان» للعذراء مريم، حينما ازداد الصراع على السلطة بين المسلمين وتقىكت عرى الخلافة الإسلامية، ونجاح يهودي عبيدي من يهودية سلسلة في المغرب هي تأسيس الدولة الفاطمية (٩٦٣ - ٩٢٢ هـ)، على أرض إفريقية ومصر وببلاد الشام وأهل الرافدين فقتلوا العلماء وأفسدوا عقيدة أهل هذه البلاد، وأشاعوا الفتنة داخل العالم الإسلامي وأضعفوا الخلافة الإسلامية وعزلوا مصر عن العالم الإسلامي، بل أرسلوا إلى الصليبيين يستعدونهم ضد الأتراك السلاجقة المسلمين أهل السنة^(٥).

٥- تحطيم الأمة من الحكام الخونة. بدأ عماد الدين زنكي جهاداً حقيقياً ضد الفرنج فاسترجع الرها عام ٩٥٣ هـ / ١١٤٤ م وغيرها من حصون الجزيزة، وفي ٩٥٤ هـ سير جيشاً إلى قلعة «فتاك» وهي تجاور جزيرة ابن عمر حيث قتل بيد أعدائه بعد مؤامرة دبرت من الفرق الباطنية وهو يحاصر حصن «جعبر» المطل على الفرات، يقول ابن الأثير: ولما قتل أتابك زنكي أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار إلى حلب فملكتها واستعاد عدة حصون من الفرنج على السواحل، أما ابن الآخر سيف الدين غازى فقد حمل راية الجهاد بعد أبيه في الموصل، وعندما حاصر الفرنج دمشق في ٧٠ ألف مقاتل ومعهم ملك الآلان

عام ٩٥٤ هـ / ١١٤٨ م استفات مجير الدين أمير دمشق بنور الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل فقصداه سريعاً في نحو ٧٠ ألف مقاتل فهرب الفرنج ولحقوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وكان الفرنج قد قتلوا خلقاً كثيراً من أهل دمشق على رأسهم شيخ المالكية الملقب بحجة الدين يوسف بن درباس الفندلاري المغربي^(٦).

وقد واصل نور الدين محمود جهوده لجمع شمل الأمة المسلمة لمواجهة الصليبيين بعد وفاة سيف الدين غازى ابن أتابك زنكي صاحب الموصل حيث كان يرى بعض حكام المسلمين آنذاك إيثار السلامة ومداهنة الصليبيين، فغزا أنطاكية وحقق نصراً كبيراً على الصليبيين، ثم فتح حصن فامايا وهو مجاور شيزر وحمة وهو من أمنع القلاع وأحصنهما، ثم أسر أحد شياطين

الصليبيين وهو «جوسلين» وكان قاسياً على المسلمين ثم فتح دولوكا^(٧). وفي عام ٩٥٩ هـ استرد مدينة دمشق من صاحبها مجير الدين أبو بن محمد ابن طغد كين أتابك لتركه رسول الفرنج يدخلون دمشق ويأخذون قطعية كل عام حيث راسلهم وبدل لهم الأموال وعرض عليهم تسليمهم قلعة بعلبك لينجدهم ويرحلوا نور الدين عنه، وقد استجاب أهل دمشق لنداء نور الدين محمود ففتحوا أبواب دمشق أمام نور الدين محمود رغم أنف حاكمهم مجير الدين، وعندما دخل دمشق نادى بالأمان والبشرى بالخير ثم وضع عنهم المкос، وعفا عن مجير الدين وأرسله إلى حصن ثم انتقل إلى العراق إلى أن مات.

في عام ٩٥٤ هـ / ١١٤٨ م هجم الصليبيون على مصر يريدون الاستحواذ عليها تماماً حيث أرسل الوزير في حكومة الملك العاضد «شاور» رسالة إلى ملك الفرنج يقول: «قد عرفتم محبتى وموعدتى لكم، لكن العاضد والمسلمين لا يوافقون على تسليم البلد، وصالحهم ليرجعوا عن مصر بالف الف دينار ذهب»، فأرسل الملك العاضد يستعثث بنور الدين محمود، ويعثث إليه بشعور نسائه يقول: أدركني واستقذ نسائي من أيدي الفرنج، والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيناً عندهم^(٨).

صلاح الدين الأيوبي

هنا وجد نور الدين الفرصة سانحة لإعادة مصر إلى الصف الإسلامي كخطوة أساسية لازمة نحو تحرير بيت المقدس وببلاد الشام فشرع في

آل زنكي وأل أيوب

فيسب الله سبحانه وتعالى آل زنكي بن أق سنقر: عماد الدين زنكي ولـي أمر الموصل ٩٥٢ هـ، ولولـيه: سيف الدين غازى، ونور الدين محمود، وأل أيوب: أسد الدين شيركوه، وصلاح الدين يوسف بن أيوب، للتصدي للعدوان الصليبي، حيث أدركوا خطورة الهجـمة الصليبية على بلاد المسلمين، فحددوا أعداء الأمة الحقيقيـين، ومـكانـ المرـضـ فيـ الأمـةـ حيثـ سـبقـتـ الـهجـمةـ الصـليـبيـةـ هـجـمةـ فـكرـيةـ علىـ ثـوابـتـ الأمـةـ وـعـقـيدـتهاـ وـفـكـرـهاـ وـاخـلاقـهاـ وـديـنـهاـ، وـكـانـ خـلـةـ العـلاـجـ: ١ـ بنـاءـ إـنسـانـ الـعـقـيدةـ.

٢ـ إـحـيـاءـ فـرـيقـةـ الـجـهـادـ.

٣ـ دـعـمـ الـخـلـافـةـ الـإـسـلامـيـةـ لـآلـ العـبـاسـ.

٤ـ ضـرـورةـ عـودـةـ مـصـرـ وـدـمـشـقـ إـلـىـ صـفـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ.

إعادة مصر إلى الخلافة الإسلامية

مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر وأصلاح الأحوال الداخلية لمصر وانتقلت مصر من الدفاع إلى الهجوم فهاجم صلاح الدين ٦٦٥هـ قواعد الفرنج بنواحي عسقلان وبغزة وضرب قلعة كبيرة لهم كانت على إلة ووجه سرية إلى بلاد إفريقيا لحماية الجبهة الغربية بقيادة أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى ٥٦٨هـ ثم وجه سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة توران شاه لإعادة اليمن إلى صفو الخلافة الإسلامية فملكتها، وخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بن يوسف المستجد بالله ٥٦٥-٥٥٥هـ^{١١١}.

مؤامرات العبيدين

لم تمض ٥ سنوات على المؤامرة التي دبرت في مصر وكانت تستهدف الأمة الإسلامية ممثلاً في القائد صلاح الدين حتى تم الكشف عن مؤامرة أخرى يقودها رؤوس العبيدين اتفقوا على الانقلاب على نظام صلاح الدين لإعادة ما يسمى بالحكم الفاطمي، وكان المتآمرون قد خاطبوا الفرنج يستدعونهم إليهم، وقبضوا على المتآمرين، كما أفشل مؤامرة العبيدين بجنوب مصر لإعادة الحكم العبيدي^{١١٢}.

لم يهمل القدير نور الدين محمود فتوفي ١١ شوال ٥٥٩هـ، فطمع الأعداء من كل جانب في المسلمين، فقام صلاح الدين بإفشال الحملة الصليبية التي تحركت لغزو مصر عن طريق الإسكندرية عام ٥٧٠هـ، ولما أطمأن إلى الجبهة الداخلية أعد العدة للتوجه إلى بلاد الشام وجمعها على قلب رجل واحد ثم بدا حركة جهادية عارمة اعتباراً

وصقلية يستدعيونهم من أجل ما تجدد من ملك صلاح الدين لمصر وأنهم خائفون على بيت المقدس وقواعد الصليبيين، وواعدوهم على الالقاء عند دمياط لاحتلال مصر، حيث أدرك الصليبيون معنى عودة مصر إلى الصف المسلم وخضوعها وببلاد الشام المحررة إلى قيادة إسلامية واحدة، بالإضافة إلى إمكانيات مصر البشرية والمادية الهائلة، كل هذا يمكن أن يجعل

باتهاء الاحتلال الصليبي لبيت المقدس وببلاد الشام والشمال الإفريقي، وهنا كان تحالف الصليبيين لاحتلال مصر عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م.

أرسل صلاح الدين رسالة إلى قائدته نور الدين محمود يستجده عليهم، ويطلب منه أن يرسل إليه يامداد من الجيوش، وقد حاصر الفرنج دمياط خمسين يوماً وقتلوا خلقاً كثيراً، فوجه نور الدين محمود الجيوش إلى مصر وانهزم الفرنج.

وكان نور الدين محمود قد وجه نجم الدين أيوب والبد صلاح الدين وهو متوجه إلى مصر أن يخطب بمصر للخليفة العباسي المستجد بالله، فأعاد مصر إلى حضن الخلافة الإسلامية، ثم ولى صلاح الدين القضاء في مصر لعلماء السنة سنة ٦٦٦هـ/١١٧١م وعزل قضاة الفاطميين وولى قضاة القضاة لصدر الدين عبد الملك بن دریاس المارداني الشافعی، وبنى

تجهيز الجيوش إلى مصر، ولما وصلت الجيوش النورية إلى مصر وجدوا الفرنج قد انسحروا عن القاهرة راجعين إلى قواعدهم، فخرج المسلمون بقدورهم، وقتل الخائن شاور بأمر الحاكم العاضد وأسندت الوزارة إلى أسد الدين شيركوه ولكنه توفي بعد ولايته بشهرين وخمسة أيام، فأسند الأمر إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف الذي لقبه العاضد بالملك الناصر، وأقام صلاح الدين بمصر بصفته نائباً للملك نور الدين، فالتقت عليه القلوب وحضرت له النفوس فعمل على إعادة مصر إلى صفو أهل السنة والجماعة وكانت هذه هي الخطوة الأولى لإعادة مصر إلى الصف المسلم لتحرير بيت المقدس.

لم يترك الخونة صلاح الدين بهذا بما فعل، فتأمر المسؤول الأول في قصر الملك العاضد «مؤمن من يسمى بال الخليفة العاضد»، و يقدم عساكر القصر، واقتقاً مع جماعة على مكاتبية الفرنج واستدعائهم إلى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه، وكانت الرسالة: «أن يتحرك الفرنج إلى الديار المصرية، فإذا وصلوا خرج صلاح الدين بالعساكر إلى قتالهم فيثور مؤمنون الخلافة ومن معه من المصريين على مختلفتهم فيقتلونهم ثم يخرجون بأجمعهم يتبعون صلاح الدين فليأتونه من الخلف، والفرنج بين يديه فلا ينقذ لهم باقية»، والعجب أن كاتب الرسالة يهودي، وكان فضل الله عظيمها إذ أمكن القضاء على المؤامرة في مهدها بفضل الله وحده، ثم يقطنة صلاح الدين وجنته^{١١٣}.

في أعقاب هذه الأحداث بدأت تتحرك الجبهة الصليبية في بلاد الشام فاتصلت بصلبيي الأندلس